



خروج سيدنا يوسف من السجن

(012) سورة يوسف

الدرس العاشر: شرح الآيات 50 - 55

2021-01-16

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.
أيها الإخوة الأحباب: مع اللقاء العاشر من لقاءات سورة يوسف ومع الآية الخمسين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَأَسْأَلْهُ مَا نَالَ النَّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50)

(سورة يوسف)

تذكير بما سبق:

كما أسلفنا يوسف عليه السلام في السجن كان في آخر محبته من محبه الثلاث من امتحانات العسر، يوسف عليه السلام خاض ثلاثة امتحانات في العسر، الأول في الحب، والثاني في القصر، والثالث في السجن، وبعد ذلك جاء التمكين، نجح بثلاثة امتحانات وهي من أصعب الامتحانات لكنها امتحانات الأنبياء:

{ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأُمَّتُ فِ الْأُمَّتِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، -أو قال: عَلَى حَسَبِ دِينِهِ- فَإِنْ

كَانَ ضَلَبَ الدِّينَ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبِيدِ حَتَّى يَمُوتُوا، وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ {

(أخرجه الترمذي)

في محنة السجن، يوسف عليه السلام كان مُحْسِنًا، وأَوَّلَ الرؤيا لساقى الملك ولخَبَّارِ الملك، صاحب طعامه وصاحب شقياه، ولمَّا جَرَا من السَّجْنِ؛ قالَ يوسف عليه السلام: **(ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** للسَّاقِي الذي يسقي رُبَّه خمرًا، وهذا من الأنبياء ليس هو الحال الأمل؛ أن يطلب النبي شيئًا مِنْ غيرِ له **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)** لَبِثَ يوسف في السجن بضع سنين، الآن لَمَّا خَرَجَ؛ ورأى الملك رؤيا وهذه الرؤيا جَبَّرَتْه لِمَا فِيهَا من رموزٍ غيرِ واضحةٍ له، فلَمَّا رَأَى هذه الرؤيا واحْتَارَ بتفسيرها طلب من الحاشية من يُعَبِّرُ له رؤياه فتذكَرُ السَّاقِي بعد أُمَّة **(وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)** تَذَكَّرَ الأمر وقال: **(أَنَا أَنْتُمْ بِنَاوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)**، الآن لَمَّا جَاءَ إلى يوسف، يوسف عليه السلام مُحْسِنٌ رغمَ كُلِّ مَا فعلوه به أَوَّلَ الرؤيا فورًا ولم يقل له: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة، بل أَوَّلَ الرؤيا، فَرَجَعَ إلى الملك وأخبره بتأويل الرؤيا وبما قال يوسف عليه السلام، فالملك أَعْجَبَ جدًّا بهذا الرجل الذي يُؤَوِّلُ هذا التأويل الواضح المُرتبط تمامًا بالرؤيا التي رآها فهنا: **(وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُوتَنِي بِهَذَا الرجل، أريد أن أراه.**

رغبة سيدنا يوسف بالحصول على براءته:



أثر التربية الإلهية في نفس سيدنا يوسف

فلما جاءه رسول الملك، ربما يكون الرسول هو السَّاقِي نفسه أو بَعَثَ رسولًا آخر مختصًا بهذه المسألة في أن يطلبه للقاء الملك، **(فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ)** هنا يوسف عليه السلام لم يقبل بعد أن أَوَّلَ الرؤيا، بل أراد أن يُحْضَلْ براءته، لا يريد أن يعجَّلَ بالخروج من السجن، انظروا إلى أثر التربية الإلهية العظيمة في نفس يوسف، احتاج الأمر سبع سنوات، حتى لا يستعجل الإنسان، احتاج الأمر سبع سنوات، لَمَّا خَرَجَ السَّاقِي قال له: **(ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** لَمَّا جَاءَ يقول له: جاء الفرح اخرج، قال له: **(ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ)** لا أريد أن أخرج، الأنبياء يصطنعهم ربنا جلَّ جلاله لنفسه وعلى عينه جلَّ جلاله، فتكون لهم تربيةً خاصةً جدًّا جدًّا، وكلنا لنا نصيبٌ من هذه التربية، حتى يصل كلُّ واحدٍ فينا إلى أن يصبح من أولياء الله يحتاج إلى تربية، هذه التربية تأتي حينًا بنقص الأموال، حينًا بأن تطلب من إنسانٍ فيؤدبك الله ويحجب عنك الإجابة حتى ترجع إليه.

منذ يومين كنت مع أخٍ أقام وليمةً لأمرٍ بَشَّرَهُ الله له، فقلت: ما هذا الأمر؟ فقال: سأروي لكم قصتي، فتحدثت عن قضية في المحكمة مضى عليها سنتان وهو محقٌّ بها مئة بالمئة ولكن المحكمة حكمت عليه بالمال، وكان متعلقًا بأشهر المحامين وكان يقول في نفسه كل يوم: القاعدة الرئيسية إذ كنت في أمرٍ عسيرٍ عليك أن تذهب إلى المحامي الأقوي في البلد فهو الذي يربح الدعوى، لا تذهب إلى المحامين البسطاء المتخرجين حديثًا، وكان يعوِّل على ذلك كثيرًا، فخذله كلُّ المحامين ولم يستطعوا فعل شيء، إلى أن أدرك خطاه وأدرك أنه تعلق تعلقًا لا حدود له بالمخلوقين، فتجذَّرَ لله فرأى رؤيا وألهمه الله سؤالًا ربما لا يسأله أحد، فتبين أن الحكم صدر بغياب أحد القضاة وهو مسافر واستخرج ورقةً تبين أن هذا القاضي الذي أصدر الحكم لم يكن في البلد وقت إصدار الحكم، ونقصَ الحكم وُزِعَ عنه ما يقارب المليون لَمَّا تجرَّدَ لله، فالله تعالى يُرَبِّي عباده.

فيوسف عليه السلام نبِيٌّ من أنبياء الله لَمَّا قال: **(ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ)** أنسى الشيطان هذا الرجل السَّاقِي أن يذكر يوسف عند ربه **(فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)** الآن لَمَّا تربى يوسف في هذه السنوات الطَّيِّبَةِ على الله لا ينبغي أن يتعلق إلا بالله عزَّ وجلَّ جَاءَهُ الآن الرسول ولم يقل له: لقد ذكرت كما طلبت، جاءه ليقول له: اخرج فالملك يريدك، لكن يوسف عليه السلام الآن متعلقٌ بملك الملوك وليس بملوك الأرض فقال له: **(ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ)** لن أخرج معك حتى تثبت براءتي وحتى أخرج من غير شبهةٍ ومن غير تهمةٍ.

التواضع والاعتراف بفضل الآخرين:

هنا أريد أن أذكر حديثًا صحَّحه أهل العلم ورواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

{ عَجِبْتُ لَصَبْرِ أَخِي يُوسُفَ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ يَعْفِرُ لَهُ حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِيُسْتَفْتَى فِي الرُّؤْيَا، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ حَتَّى أَخْرَجَ. وَعَجِبْتُ لِصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ يَعْفِرُ لَهُ أَيُّ لِيَخْرَجَ فَلَمْ يَخْرَجْ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِعُدْرِهِ، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لِبَادَرْتُ الْبَابَ، وَلَوْ لَا الْكَلِمَةُ لَمَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ حَيْثُ يَتَّبِعِي الْقَرَحَ مِنْ عِنْدِ عَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ }

(أخرجه الطبراني)

(وَلَوْ لَا الْكَلِمَةُ) وهي قول يوسف عليه السلام: **(ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)**، لأنه ابتغى القَرَحَ عند غير الله عزَّ وجلَّ، فلولا كلمته ما لَبِثَ في السجن بضع سنين، لَبِثَ في السجن بضع سنين من أجل كلمته قالها تعلق بها بغير الله، فانظروا إلى التربية، أولاً النبي صلى الله عليه وسلم أودى في الله وما أودى أحد مثله، كما جاء في الصحيح:

{ مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مَا أُودِيَتْ فِي اللَّهِ }

(أخرجه ابن حبان)



نُعَلِّمُنَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ إِخْوَةٌ

والنبي صلى الله عليه وسلم من أشد الأنبياء إيداءً، لكن هذا من تواضعه ووفائه لأنبياء الله وتعليمنا بالاعتراف بالفضل، النبي صلى الله عليه وسلم هنا يُعَلِّمُنَا أَنَّ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ أَخُوهُ يَقُولُ: (عَجِبْتُ لِصَبْرِ أَخِي يُوسُفَ وَكَرَمِهِ) ثم يقول عن نفسه: أنا لو جاؤوني ليستفتوني ما كنت أجبتهم، وبأبي هو وبأمي لو جاؤوه واستفتوه لأفتاهم فهو أكرم الخلق صلى الله عليه وسلم، لكن ينظر إلى إخوانه بهذا التواضع، لنعلمنا أن تتواضع لإخوانك وأن تقول: أنت خيرٌ مني، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
عُقْرَاتِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)

(سورة البقرة)

لكن الله عزَّ وجلَّ جعل نبيه صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وجعله فوق كل الرسل، فالله تعالى يُفَضِّلُ من شاء من رسله، أما نحن فنؤمن بهم جميعاً من غير تفریق، فنعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم هنا هذه الحقيقة بأن تعترف بالفضل للآخرين وأن تنظر إلى أعمالهم والأشكر ما فعلوه.

صبر وكرم سيدنا يوسف:

فيقول: (وَعَجِبْتُ لِصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ) يؤكد على شيئين؛ الحديث هنا على صبر يوسف وعلى كرمه، الصبر: أن تلبث في السجن، تحبِّل سبع سنوات وقبلها كان هناك سنوات، يوسف أقل شيء لبث في السجن عشر سنوات أو أكثر مظلوماً متهماً بريئاً، الآن جاءه الفرج وفتِّح الباب وقال: الملك يستدعيك، أي صبر يحتاجه الإنسان ليقول له: لن أخرج (أزجج إلى رَبِّكَ فِاسْأَلُهُ) وهو يقول في نفسه ربما الملك يقول لهم: من هذا الرجل الذي أطلبه إلي فيقول (أزجج إلى رَبِّكَ فِاسْأَلُهُ) لا أريده ويعلم أنه يمكن أن يحصل ذلك، فهو صبر على اللبث في السجن لأنه يعلم أنه امتحان يجب أن يخوضه.

وأما الكرم فكان عندما جاؤوه يطلبون الفتيا بعد أن آذوه وفعلوا بها ما فعلوا فلم يصنَّ عليهم، بل أعطاهم تأويل الرؤيا من أجل أن يضمن لهم المستقبل حتى يصلوا إلى العام الذي يُعَاثُ فيه الناس وفيه يعصرون (ثُمَّ تَأْتِي مِنْ تَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ) فكان صابراً كريماً، قد بصبر الإنسان ولا يكون كريماً، بصبر لأنه مضطَّر للصبر لكنه يقول لك: والله لا أستطيع أن أعفر، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)

(سورة الشورى)



الصبر والتسامح صفتا أهل الإيمان

أن تصبر وتُسامح معاً هذه لا يُطبقها إلا أهل الإيمان، فيوسف عليه السلام الآن قال له: (ازجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَذِبِينَ عَلِيمٌ) يوسف تسبّ لهذا الرسول الرب فقال له: (ازجِعْ إِلَى رَبِّكَ) ثم قال: (إِنَّ رَبِّي بِكَذِبِينَ عَلِيمٌ) فهو لمّا قاسن الأمر على نفسه فؤبه هو الله لأنه يَدِينُ له بالطاعة أما أنتم فتتخذون أرباباً من دون الله فهذا رَبُّكَ (ازجِعْ إِلَى رَبِّكَ) ثم قال له: (إِنَّ رَبِّي بِكَذِبِينَ عَلِيمٌ) وكأنه أيضاً يبشّر هنا إلى قضية التوحيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَعَرِّفُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)

(سورة يوسف)

فهو رَبُّكَ لأنك تدين له، ما مفهوم الرب؟ هو الذي يرجع الإنسان إليه ويدِينُ له وهو الذي يظنُّ الإنسان أنه هو من يُعطيه ويمنحه ويَهْتُءُ فيرجع إليه، قال له (ازجِعْ إِلَى رَبِّكَ).

لا ينبغي أن تُبقي نفسك في موضع الشبهة والتهمة:

إذا قال له: (ازجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) حادثة المراودة طويلة، لكن جاء بقصة (النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) لشيئين، الشيء الأول: لأنها حادثة بارزة جداً في القصة، فإن يدخل يوسف والنساء يجرحن أيديهنَّ! هذا هو الحديث الذي انتشر أكثر في المدينة من انتشار الخبر الأول وهو مراودتها له، ف جاء بالخبر الأكثر انتشاراً.



لا يُبقي نفسك في موضع الشبهة والتهمة

الأمر الثاني: أن هذا يُبرِّئه أكثر لأن التهمة لم تعد فقط من امرأة العزيز فهؤلاء أصبحن أيضاً براودته عن نفسه، والدليل أنه بعد الحادثة كما مر معنا قال: (وَالَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْحُ إِلَيْهِنَّ) لم تعد واحدة إنما أصبحت المؤامرة عامة، فلم تعد امرأة العزيز هي من تريد منه أن يُواقعها في المعصية وإنما أصبحت النسوة كلهن معها في الشر، فأراد أن يُبرِّئ نفسه من الشرِّ كله فقال له: (ازجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) الله تعالى يعلم ما كادوه لي ولن أخرج حتى أبرِّئ ساحتي وأخرج من غير تهمة، وهنا يعلمنا يوسف عليه السلام أنك لا ينبغي أن يُبقي نفسك في موضع الشبهة والتهمة ولو كنت تعرف نفسك بريئاً طاهرًا، وهذا مصداق لفعله صلى لله عليه وسلم:

{ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أُرْوَرَهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَتَقَلِّبَ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،

فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةٌ بِنْتُ حُبَيْبٍ
فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا، أَوْ قَالَ شَيْئًا {
(صحيح مسلم)

الشیطان موجود وقد یوسوس لکما، فالإنسان ینبغي أن یتزیر ساحتہ دائماً ولو کان ینعلم نفسه أنه علی حق، ولا یقول: إذا كنت أعلم أنني علی حق فلا یهمنی الناس، لا یا أخي، تعلم أنك علی حق وحاول أن یتزیر ساحتک أمام الناس، الآن إن اتهموک ظلماً وبهتاناً فحسبک الله، لكن أن تضع نفسك موضع التهمة ثم تلوم الناس إذا اتهموک فهنا المشكلة، فهذا أيضاً درس من یوسف علیه السلام لا یرید أن یرج ثم بعد حين یصبح عزیز مصر ومآزالت النسوة ومآزال الرجال یتھامسون: أترون ذلك العزیز عزیز مصر هذا الذي راودتہ يوماً امرأة العزیز، فأراد أن یتشیع خبر براءتہ كما شاع خبر تهمة وهذا من حکمة وأدب الأنبياء، فقال: (إِنَّ رَبِّي يَكْبِدُهُنَّ عَلِيمٌ).

إعجاب الملك بسيدنا يوسف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يَا يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَا خَاسِنٌ لِّئَلَّا نَعْلَمَ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51)

(سورة يوسف)



طهارة النفس وعفيتها أهم من حرية الجسد

الآن قال الملك: (قَالَ مَا خَطْبُكَ يَا خَطْبُكَ) يخاطب النسوة، أعجب بيوسف أيما إعجاب وازداد إعجابه به الآن لما رأى من عففته وطهارته، وأنه لا یرید أن یرج من السجن وأن السجن عنده والحرية سواء ما دام متهماً، فالبراءة عنده أهم، أي إن طهارة النفس وعفيتها أهم من حرية الجسد، وهذا لا يطيقه إلا الصادقون أن تكون القيم أهم عندك من حرية الجسد، وأن تكون طهارة النفس أهم عندك من حرية الجسد، فلسان حال يوسف: أبقى في السجن ولا أخرج وأنا متهم تهمة باطلة، فإذا ازداد إعجاب الملك به وبعففته، وهذا درس لكل من يقف على أبواب الحكام والأمراء والسلاطين ويتزلف ويبيع دينه ويقول قولاً مخالفاً للحق لإرضائهم، وهو يظن بذلك أنه ينتزع إعجابهم وهو في الحقيقة لا ينتزع إلا احتقارهم له، لأنهم يعلمون يقافه وهو يتكلم، ويشيرون له بالموافقة وهم يعلمون بأنه يتكلم كذباً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)

(سورة القيامة)

فهذا درس للجميع لا تقف بباب أحدٍ إلا بباب الله، جاءه الفرج واللقاء مع الملك وما قال له: والله أقف في خدمتك يا سيدي وأنت قل لي ومرني بما تشاء... ولو فعل لربما احتقره الملك وما وافق على أن يجعله عزیز مصر، وحاشاه أن يفعل وهو نبيُّ الله أن يتزلف لأحدٍ من خلقه، فلما عرَّ بنفسه عرَّ عند الناس، لكن عندما يهون الإنسان أمام نفسه يصغر عند الناس ولو أجلوه إلى حين، لكنهم يعلمون أنه صغير وأنه لا قيمة له.

إذ جَمَعَ الملك النسوة ليتحرى عن الموضوع وقال: (مَا خَطْبُكَ) والخطب: هو الأمر العظيم الجلل، فقال: (مَا خَطْبُكَ) لأن الأمر أديع وانتشر حتى أصبح عابثاً شاملاً فقال: (قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يَا يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) الملك الآن مقتنع وفي الأصل بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات على براءة يوسف، بدا لهم أن يسجنوه من أجل لَمَّ الفضيحة، فالقصة معروفة، لكن الآن إظهار الحقيقة أمام الناس (قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يَا يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) فَلْنِ خَاسِنٌ لِّئَلَّا نَعْلَمَ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شُوءٍ يوسف لم تعلم عليه: لم يقل: ما علمنا عليه سوءاً ولم يقل: ما علمنا أنه سيء، وإنما قلنا: (مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شُوءٍ) فهذه نكرة (شُوءٍ) جاءت قبلها من تستعرق أفراد السوء، يعني لم تعلم عليه أي شيء تسوؤه، ليس فقط أنه لا يُراود امرأة أو يطلب منها الحرام، لكن أصغر من ذلك، نظرة حرام لا ينظرها (مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شُوءٍ) أي ليس عنده لا نظرة حرام ولا أن يمس من حرام ولا أن يُصافح بحرام مثلاً، ولا ولا ولا إلخ..



(قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَمَ الْحَقُّ) المعنى: الباطل له حصّة والحق له حصّة لكن في النتيجة حصّة الحق أقوى من حصّة الباطل، ف **(حَصْحَمَ الْحَقُّ)** أي ظهر واستبان وأخذ حصته الكاملة، **(الآن حَصْحَمَ الْحَقُّ)** لم يعد هناك مجال للموازاة أو للإنكار أو لأي شيء من هذا القبيل، **(قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَمَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِيهِ)** وتقول ذلك بمحضر الناس، والواضح من الآيات أن يوسف ليس حاضراً، حتى الآن لم يخرج من السجن كما يذكر البعض أنه أخرج ليرى المحكمة، وإليه أعلم لم يكن موجوداً، **(الآن حَصْحَمَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِيهِ)** وهذا اعتراف صريح والاعتراف سيّد الأدلة قالت: **(أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِيهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ)** وتؤكد ذلك بخمسة مؤكّدات، المؤكّد الأول: هو الجملة الاسمية، والجملة الاسمية في اللغة العربية مؤكّدة، غير الجملة الفعلية، إذا قلت: يدرس الطالب، الأكّد منها أن تقول: الطالب دارس، هذه أكّد، ثم إنها أكّدها ب (إِنَّ) وَإِنَّ تغيد التوكيد، فإن قلت: السماء صافية، شيء، وإن قلت: إن السماء صافية، شيء آخر يُغيد التوكيد، ثم أكّدها ب (اللام) التي تأتي في خبر (إِنَّ) قالت: **(وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ)** زيادة في التوكيد، اعترفت.

حقيقة ثابتة لا تتغير:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اُخْنِ بِالْعَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰنِیْنَ (52)

(سورة يوسف)



يجب أن نفهم قوائين القرآن الكريم
(ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ) أي يوسف **(اَنِّي لَمْ اُخْنِ بِالْعَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰنِیْنَ)** قالت: **(لَمْ اُخْنِ بِالْعَيْبِ)** أتكلّم الحقيقة في غيابه، هناك خيانة في الشهادة، وهناك خيانة في الغيب، قالت: **(ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اُخْنِ بِالْعَيْبِ)** قلت الحق، **(وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰنِیْنَ)** وهذه العبارة سواءً كانت من كلامها؛ كما يذكر أكثر المُفسرين، أو غير ذلك، لكنها حقيقة وقانونٌ ينبغي أن نفهمه تماماً، الخائن يَكيد، والكيدُ بفعله دائماً الضعيف ليصل إلى مآربه، لكن الله تعالى لا يهدي كيد الخائنين، فمهما بدا لك أن الخائن قد وصل إلى مُبتغاه قل: إن الله لا يهدي كيد الخائنين، كما أنك مهما بدا لك أن المُفسد قد وصل إلى مُبتغاه فقل: **(إِنَّ اللّٰهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِيْنَ)** يجب أن يكون إيماننا بالقرآن أكثر من رؤيتنا لبعض الوقائع التي تُوهّمنا بخلاف ذلك، تقول: هذا مُفسدٌ لن يُصلح الله عمله لأن الله لا يُصلحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِيْنَ، ولا يهدي كيد الخائنين، ولا يُصيحُ أجر المُحْسِنِيْنَ، هذه قوائين في القرآن الكريم ينبغي أن نفهمها، خائنٌ والله تعالى يهديه لتحقيق كيدِه معاذ الله!! ربما إلى حين ليُتحقق الامتحان، وإلا لو كان لا يُحقق له مُبتغاه من اللحظة الأولى لما أقدم خائنٌ على الكيد، ولما أقدم مُفسدٌ على إفساد، ولما ترك مُحسِنٌ إحساناً يرجو أجره لأن كل شيء محقق، يعني لو كان الله عزّ وجلّ يُحسِنُ فبأنتك الأجر فوراً بعد دقيقة، كل الناس يحسنون لا حياءً في الإحسان وإنما حياءً بالأجر، فالله تعالى يُؤجّر مكافأة المُحسِنِ ويُؤجّر معاقبة المُسِيءِ لكنه لا يهدي كيد الخائنين، ولا يُصلحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِيْنَ، ولا يُصيحُ أجر المُضِلِّينَ، ولا أجر المُؤْمِنِيْنَ، ولا أجر المُحْسِنِيْنَ هذه سننه في الأرض.

فقالت: **(وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ)*ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اُخْنِ بِالْعَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰنِیْنَ)**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)

(سورة يوسف)

هذا أولاً دليلٌ على أن العصر عموماً الذي قلنا: إنه عصر الهكسوس الذي ذهب به الفرعنة وجاء الهكسوس، عصر الرعاة، وهذا إعجازٌ فرأيتُ لأنه يذكر ملكاً ولم يذكر فرعون لأنه ليس في عصر الفرعنة في مصر، فهذا العصر كان فيه بقايا إيمان، نلاحظ فيه أن العزيز والملك وامرأة العزيز تكلموا بقضايا فيها بعض الإيمانيات، فهذا يدل على أن هذا العصر كان فيه بعض الإيمانيات.



جِبُّ أَحَدِهِمْ يَجْعَلُنَا نَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِمَا يُحِبُّهُ

الأمر الثاني: قال بعض المفسرين: إن امرأة العزيز ما يزال قلبها مُعلِّقاً بيوسف عليه السلام حتى تلك اللحظة، فأرادت أن تستجلب قلبه بما تعلم بأنه يُحِبُّهُ وهو الاعتراف بالخطأ وعدم تبرئة النفس والقول (إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي) وهو الإله العظيم جلَّ جلاله مع أنهم كانوا يتخذون الملوك أرباباً من دون الله، ولكن أرادت أن تتقرب إليه بما يُحِبُّهُ وهذا شأن المحب، فإذا أحبَّ الإنسان شخصاً جعل يتقرب إليه بما يُحِبُّهُ هذا الإنسان، فقالت: (وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) وهذه حقيقة أيضاً سواءً على قول من قال: إنها تنمُّه كلامها، أو على من قال: إن يوسف أجابها (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) فهو قولٌ حقٌّ أكده القرآن الكريم (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) وهنا أيضاً المؤكدات السابقة نفسها: (إِنَّ) و(اللام) والجملة الاسمية (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) وأضيفَ لها تأكيدٌ آخر وهو أنها لم تقل: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، وإنما قالت: (لَأَمَّارَةٌ) أي كثيرة الأمر، فنفيسك لا تأمرك مرةً فتنتركها ولا تستجيب لها فتتركك وتملئ منك، ولكنها تُعيد الكرة وتُعيدها وتُعيدها ولا تيباس منك إلا بعد أن تعلم أنك لن تُجيبها، لكن تبقى تأمر بالسوء، لكن يخفُّ أمرها عندما ترى أنك مصرٌّ على إيمانك وعلى طاعتك (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) أي كثيرة الأمر بالسوء، (إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمر:

{ إِيَّاهُ يَا ابْنَ الْخَطَابِ ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لِقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا؛ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ }

(صحيح الجامع)

لأن عمر شديدٌ في الله فلا يقوى عليه شيطان، (إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي).

المغفرة والرحمة وقايةٌ وعلاج:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)

(سورة يوسف)

(إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) المغفرة والرحمة من أجمل ما قرأت فيهما أنهما علاجٌ وقائيٌ وعلاجٌ دوائيٌ إن صحَّ التعبير، المغفرة: تقع في الذنب فيغفر الله لك ذنبك، يستره عليك ويمحوه، هذه مغفرة، الرحمة: يملأ قلبك بسكينة تمنعك من الوقوع في الذنب نفسه مرةً ثانيةً، فالمغفرة هي العلاج والرحمة هي الوقاية، فرحمة الله إذا تجلَّى بها على قلبك منعك من الوقوع في الذنب، ومغفرته أنك إن وقعت في الذنب جاءك الستر (إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

الملك بعد أن رأى براءة سيدنا يوسف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِتَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْتَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54)

(سورة يوسف)

الآن الملك بعد أن رأى براءته وعفَّته وطهارته وعلمه وإحسانه، في المرة الأولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ (50)

(سورة يوسف)

لم يقل: (أَسْتَخْلِصُهُ لِتَفْسِي)، بل (ائْتُونِي بِهِ) يُفسِّر الأعلام بطريقةً عجيبةً جميلةً رائعةً (ائْتُونِي بِهِ) هذا كلُّ ما لديَّ عنه (ائْتُونِي بِهِ)، لكن الآن المرة الثانية (أَسْتَخْلِصُهُ لِتَفْسِي) لو جاءه في المرة الأولى لمجرَّد أن قيل له: أخرج من السجن، فخرج وهو منهممٌ ثم أصبح الناس يتهايمسون عليه لربَّما الملك ينفذ منه بعد حين، لكن الآن (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِتَفْسِي) لم يقل: ائْتُونِي بِهِ من أجل أن يعود كما كان عبداً في القصر وخداماً بل (أَسْتَخْلِصُهُ لِتَفْسِي) أريد أن أجعله خالصاً لي.



يوسف لا يستخلصه لنفسه إلا خالقه جلَّ جلاله

دخل السجن مُتَّهِماً خرج منه إلى قصر الملك، خرج من القصر عبداً وعاد إليه أهمُّ من عزيز مصر لأنه سينقذ البلاد الآن، بيده الخلاص، هو فسَّر الحلم والآن سيطبِّق ما فسَّره على أرض الواقع (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِتَفْسِي) ويوسف لن يستخلصه أحدٌ إلا الله، فهو من عباد الله المخلصين، لكن هذا قول الملك، يظنُّ أنه يستخلصه لنفسه، لكن يوسف لا يستخلصه لنفسه إلا خالقه جلَّ جلاله.

(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِتَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ) الآن انتقل من السَّماع إلى المُعابنة (فَلَمَّا كَلَّمَهُ) أخذ وردُّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْتَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54))

(سورة يوسف)

(مَكِينٌ) أي أنت في مكانٍ لا يستطيع أحدٌ أن ينالَ منك، محفوظ، (أَمِينٌ) والأمين: أنت مؤتمنٌ على ما نريدُه منك، بعبارةٍ أخرى هي الخبرة والولاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ كَذٰبًا اِنِّي سَآخِرٌ ۗ اِنَّ حَبْرَآءَ الْعٰوِيۡتِ الْاَمِيۡنُ (26)

(سورة القصص)

فالقوة جزءٌ والأمانة جزءٌ آخر، فهنا يوسف (مَكِينٌ أَمِينٌ) ممكنٌ محفوظٌ ومؤتمن، الأمران معاً.

طلب سيدنا يوسف للولاية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ اجْعَلْنِي عَلٰى خَزَاۤئِنِ الْاَرْضِ ۗ اِنِّي حَافِظٌ عَلِيمٌ (55)

(سورة يوسف)



القحط كان عاماً عند طلب يوسف للولاية

يوسف الآن يطلب ولاية (اجعلني على خزائن الأرض) وطلب ولاية محددة وهي أن يكون مسؤولاً عن القوت والغذاء (خزائن الأرض) جمع خزنة وقال: الأرض لأنه كما سينتج لنا بعد قليل أن هذا القحط كان قحطاً عاماً ولم يكن خاصاً فقد جاءه إخوته من مكانٍ آخر، فالحفظ عمٌّ، فيوسف يقول: الأرض بهذا المعنى أو الأرض بمعنى الأرض المعهودة وهي أرض مصر، على الحالتين، (اجعلني على خزائن الأرض).

(إني حفيظٌ عليمٌ) عندي خبرة وعندي أمانة، الأمانة والخبرة، (حفيظٌ) أحفظ بخبرتي الأمر، لا أضيع الأموال، لا أهدر المال العام (عليمٌ) عندي خبرة، أمانة وخبرة، كعلم الحديث؛ في علم الحديث يُطلب من كل راوٍ أن يكون صادقاً، ثقةً، العدالة هي الأمانة، والضبط هو الحفظ (حفيظٌ عليمٌ).

(اجعلني على خزائن الأرض) إني حفيظٌ عليمٌ عندنا هنا سؤالان، السؤال الأول: كيف يطلب يوسف الولاية والنبى صلى لله عليه وسلم كما في الصحيح يقول:

{ إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ }

(رواه البخاري)

في قواعد الإسلام أن من يقول لك: اجعلني وزيراً لا تجعله وزيراً، اتب بإنسانٍ تطلب منه فيقول لك: أعفني أروك، لأن هذا يكون نظيفاً في الأعم الأغلب، أما الذي يطلب فيغلب أن لديه مارتٍ أخرى، ففي قواعد الإسلام أنه لا يُؤلى من طلب.

الأمر الثاني: أن يوسف يمدح نفسه (إني حفيظٌ عليمٌ) والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَّا تُزَكُّوا ۖ أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (32)

(سورة النجم)

لا تقل عن نفسك: أنا فلان، حسناً كيف تُجيب على ذلك؟ من أسهل الأجوبة أن نقول: إن هذا شرعة يوسف وبشرعنا من قبلنا ليست نبشركاً لنا، كما قال بعض الناس لما وصلوا إلى الكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ آمُرِهِمْ لَتَنْخَذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)

(سورة الكهف)

فهل يجوز أن نتخذ مسجداً في ديننا على الأولياء الصالحين؟ كحكم شرعي لا يجوز، فبشرعنا من قبلنا ليست نبشركاً لنا، هذا أسهل الأجوبة لكن أنا لا أفتنع به حقيقة، لا أنكره لكن لا أفتنع به.

عدم طلب الولاية لا يعني الانسحاب وعدم تحمل المسؤولية:



أهمية المبادرة وتحمل المسؤولية في بناء المجتمع

أعتقد أن المسألة أعمق من ذلك، هذه المسألة مسألة مختصة بأعماق النفس فليس لها علاقة فقط بالشرعية، بل لفهم لماذا طلب يوسف عليه السلام؟ طائرة وأحد مرضى القلب علي متن الطائرة أصابه احتشاء قلبي حاد، وبدأ مصيف الطيران أو كابتن الطائرة يُنادي على الناس: إن كان هناك طبيب فليأت إلينا، فأحد الأطباء جالس فقال في نفسه: لن أطلب هذه الولاية، نقول له: هذا انسحاب من الشأن العام، يوجد خطر، ليست الأمور مستقرة، هنا يقول: **(أجعلي علي حرائب الأرض)** عندي مشكلة جسيمة، عندي سبع سنوات عجاظ إذا لم نقم بحققها كما ينبغي فهناك مشكلة، فيوسف الآن يعرض نفسه للخطر، يأتي في وقتٍ عسير، يريد أن يحمل مسؤولية لا يُنكر أحد أنها مسؤولية عظيمة يهرب منها الناس، الوقت ليس وقت معانم هنا، الوقت وقت مغارم، فهو يطلب مغرماً هنا ولا يطلب معتماً، وبنبغي أن نقندي به عندما تجد في منطقة ما يوجد مغرم وأنت تستطيع أن تفعل قل: أنا طبيب مختص بهذا الموضوع، ابتعدوا أنا أريد أن أقوم بالأمر، لا تقل: أنا أنسحب حتى لا أطلب الولاية ولا أركي نفسي، زك نفسك وعرف نفسك من أنت واقتم حتى لا يقتحم غيرك فيؤذي، وهذا معنى ينبغي أن نستفيد.

الأحكام الشرعية تُطبَّق على مجتمعات مسلمة ولا تُطبَّق في الفراغ:



الأحكام الشرعية ليست منفصلة عن المجتمع

الأمر الأخير الذي أريد أن أقوله هنا أيضاً في المسألة نفسها: الأحكام الشرعية في الإسلام ليست منفصلة عن المجتمع، بمعنى أن المجتمع هو الذي بنى الفقه الإسلامي، المجتمع السليم المؤمن هو الذي نفذ الأحكام التي تُطبق، أحكام الشرعية لا تُطبق في الفراغ، أحكام الشرعية تُطبق على مجتمع مسلم، اليوم من أسوأ ما يأتينا من فتاوى: أنك تجد أحياناً سؤالاً عن حد الردة، مثلاً، يا أخي حد الردة بعض النظر عن تفاصيله التي لن نخوض بها الآن لأنه ليس وقتها، لكن حد الردة يُطبق على مجتمع مسلم، حد الردة هو حماية لمجتمع مسلم، فإذا كان المجتمع المسلم غير موجود أصلاً، وإذا كان عقل الإنسان محدوداً فمن الطبيعي أن يُنكر حد الردة لأن فيه إكراهاً على الدين، لأن المجتمع الذي يُطبق فيه الحكم ليس موجوداً، أما أن يكون عندنا أمة إسلامية مسلمة حقيقةً بلغت فيها أنها تُطبق أحكام الشرعية وتصل إلى الحدود التي هي آخر المطاف التي هي السياج الذي يحمي الدين، فالأحكام الشرعية تُطبق على مجتمعات مسلمة ولا تُطبق في الفراغ.

فلما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّا لَا نُؤَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ مِنْ سَأَلَةٍ)** لا تُعطي الولاية من طلبها، في الوقت نفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم من أصحابه يُحسبُ الإدارة، ومن يُحسبُ الفرائض، ومن يُحسبُ جمع القرآن، ومن هو أمين هذه الأمة، ومن.. يعلم خبرات أصحابه ويضع كل شخص في موضعه، عندها يقول: **(إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَةٍ)** لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من يضع كل إنسان في موضعه ولا يصنع لإنسان عمله، أما عندما تكون في مجتمع يُعَيِّنُ الناس بالوسائط وبالرشاوى وتقول لشخص: لا تزك نفسك! لا يا أخي سأزك نفسي وسأقول: أنا خبيرٌ بهذا الموضوع وأنا أريد أن أتسلمه لأن المجتمع غير متجانس وغير صحيح لتطبيق أحكام الشرعية في الأصل، فلا ينبغي أن تفصل أحكام الشرعية عن الواقع، أحكام الشرعية مبنية على واقع إسلامي صحيح، اليوم معظم أمورنا التي تتداول بها أحكام الشرعية نفصلها عن الواقع فنقع في هذا الإشكال.

تخيّل عندما تريد أن تدرس أي حكم شرعيّ أنه كان يُطبق في مجتمع المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، طبعاً هذا أقوله على مستوى الأحكام الشرعية السياسية العامة والحدود والعقوبات والسياسة الشرعية وليس علي مستوى الصلاة والصوم، نحن اليوم نُصلي ونصوم وإن شاء الله أمام الله تباركاً وطمناً وهذا الذي نريده، لكن عندما ننظر إلى الأعلى للذي أنا غير مسؤول عنه أمام الله عز وجل، وإن كنت أحبه وأسعى إليه لكنني لست مسؤولاً عنه، عندما ننظر إلى الأشياء العظيمة لا ننظر إليها على أنك تريد أن تُطبق اليوم في واقعنا هذا المأساوي الذي نعيشه، انظر إليها على أنها تُطبق في مجتمع مسلم، هذا هو الأمر.

سبب طلب سيدنا يوسف للولاية:



المسلم شخصٌ حكيمٌ يقود الأمور بشكل صحيح

فهنا يوسف عليه السلام كان مُحَقِّقاً تمام الحق، بل كان مُطالباً بما فعل بأنه قال: **(اجْعَلِي عَلَيَّ خَزَائِنَ الْأَرْضِ)** لن أترك أحداً من هؤلاء الشاردين والبعيد، ثم من زاوية أخرى كيف يُطبقُ يوسف دعوته ورسالته، الله تعالى هو الذي فتح له هذا الباب باب الإصلاح وهنا أيضاً شيءٌ مهمٌ جداً: كنيزٌ من الدول التي نهضت على يد أشخاص معروفين باتجاههم الإسلامي بدأت بإصلاح دُنياهم، هذا واقع، فأنت عندما تُصلح لهم دنياهم يلتفتون إليك، فيوسف كان هذا طريقه، الطريق الذي فتحه الله ليوسف بالدعوة أن ينجح في حفظ قوت الناس في السنوات السبع العجاف، فيكون ذلك باعثاً لهم إلى النظر إليه على أن المسلم ليس شخصاً عادياً، وإنما شخصٌ حكيمٌ يقود الأمور بشكل صحيح ومؤيدٌ من السماء طبعاً فيستجيبون له، فيوسف الآن يريد أن يُؤدي رسالته فإن لم يكن على خزائن الأرض فلن يستطيع أن ينشر دعوته وأن ينشر الحق في الأصقاع، فطلب الولاية من أجل أن يصل إلى الهداية، فقال: **(اجْعَلِي عَلَيَّ خَزَائِنَ الْأَرْضِ) إِيَّيْ حَفِيطٌ عَلَيَّ** وهنا يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)

(سورة يوسف)

وبدأ هنا امتحانه الذي لا يقلُّ عن امتحاناته السابقة ولكنه من نوعٍ آخرٍ، إنه امتحان التمكين بعد امتحانات الاستضعاف، فجاءه امتحانٌ جديدٌ هو امتحان التمكين في الأرض (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ).

وفي اللقاء القادم إن شاء الله تعالى سنتحدث عن امتحان التمكين وأكتفي بهذا القدر، وأستغفر الله العظيم وأسأل الله لي ولكم السلامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نور الدين الاسلامي